﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ٥١﴾ [الأحزاب: 51]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـرَّبـطُ بـين ما أحـلَّ الله لنبيّه مـن الـنِّـسـاء، ورفـع الـجُـنـاح عـنـه بـالـخـيـار فيهنَّ

ذكر الحقُّ سبحانه في الآية السّابقة ما أحلَّه لرسوله من النِّساء؛ رفعًا للحرج عنه ﷺ، فإنَّه تعالى غفور رحيم، ولَمّا ذكر هاتين الصِّفتين؛ أردفه ما يخفِّف عنه من أمرهنَّ، إكرامًا له ﷺ ممّا كان من شأنه أن يتحمَّل فيه، ويتخرَّج عن فعله، فخيَّره بين أن يرفض هبة الواهبة، أو يطلِّق من هي في العصمة، فيُرجيها، أو يقبلُها، أو يُبقي من هي في عصمته[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُرۡجِي﴾: (رجى) أصلان متباينان، يدلُّ أحدهما على الأمل، والآخر على ناحية الشَّيء، وأمّا المهموز؛ فإنَّه يدلُّ على التَّأخير، يقال: أرجأتُ الشَّيء: أخَّرته، وإرجاء النّاقة: دنوُّ نتاجها، ومعنى ﴿تُرۡجِي﴾ في الآية: أنَّه ﷺ كان يترك المرأة من نسائه ما بدا له من غير طلاقٍ، فإذا شاء؛ راجعها، ويتركها كذلك، وهي خصّيصة له وحده ليس لغيره[2].

2) ﴿وَتُـٔۡوِيٓ﴾: (أوى) أصلان: أحدهما التَّجمُّع، والثّاني الإشفاق، يقال: أوى الرجل إلى منزله، وآوى غيره أويًا وإيواءً، ويقال: أوى إيواءًا أيضًا، والمأوى: مكانُ كلِّ شيءٍ يُؤْوى إليه ليلًا أو

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 384.
(2) ابن وهب، تفسير القرآن من الجامع: 2/ 42.

نهارًا[1]، و﴿وَتُـْٔوِيٓ﴾ في الآية، أي: تضمُّ وتقرِّب بقبول الهبة أو بالإبقاء في العصمة، بِقَسَمٍ وبغير قَسَم، بجماع وبغير جماع، تخصيصًا له بذلك عن سائر الرجال[2].

3) ﴿ٱبۡتَغَيۡتَ﴾: (بغي) أصلان: أحدهما: طلبُ الشيء، والثاني: جنسٌ من الفساد، فمِن الأوَّل: بغيتُ الشيء أبغيه؛ إذا طلبته، ويقالُ: بغيتك الشَّيءَ؛ إذا طلبته لك، وأبغيتك الشَّيءَ؛ إذا أعنتك على طلبه[3]، والابتغاءُ هو الاجتهاد في الطَّلب[4]، وهو أيضًا الإرادة والقصد، يقال: ابتغيت الأجرَ في عملي، أي: قصدتهُ، ويأتي بمعنى الاتِّخاذ، تقول: ابتغيت البيت سكنًا لي، أي: اتَّخذته[5]، ومعنى ﴿ٱبۡتَغَيۡتَ﴾ في الآية، يعني: "إيواء من أرجى منهنَّ، أباح له بذلك أن يعتزلَ من شاء منهنَّ، ويُؤوي من شاء، وأن يؤويَ منهنَّ من شاء بعد الاعتزال"[6].

4) ﴿عَزَلۡتَ﴾: (عزل) معنى العزل التَّنحية والإبعاد، فمَن كان في معزل؛ فهو في ناحية القوم معتزلًا عنهم، واعتزالُ القوم: مفارقتُهم، والأعزلُ ما كان من غير سلاحٍ، والاعتزال تجنُّب الشَّيء عمالةً أو براءةً بالبدن أو بالقلب، وأيُّ شيء أفرزته جانبًا فقد عزلته[7]، ومعنى فعل الاعتزال المنسوب إلى النَّبيِّ ﷺ أن يوسِّع على أمَّهات المؤمنين، فيُقسم لهنَّ جميعًا، حتّى وإنْ لم يطلبْنَ ذلك، فلم يكن توسيعُهُ عليهنَّ بدافع الحاجة، بلْ كان نابعًا من رحمة واسعة، وحنانٍ عظيمٍ، وحرصٍ على حفظ مشاعرهنَّ، وصون قلوبهنَّ من الغَيرة[8].

5) ﴿جُنَاحَ﴾: (جنح) أصلٌ يدلُّ على المَيْل والعُدوان، والجُناح على زنة (فُعال)، وهو ما كان دالًّا على الإثم والذَّنب؛ لأنَّه ميلٌ عن الصَّواب، فمَن جنح إلى شيء؛ فقد مال إليه، وأُطْلِق الجُناح على الإثم لميله عن طريق الحقِّ، ثمَّ سُمّي كلُّ إثم جناحًا[9]، ومن معاني

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أوى).
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 384.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بغي).
(4) الراغب، المفردات: (بغي)، والمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 35.
(5) ابن منظور، لسان العرب، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (بغا - بغي).
(6) الجصاص، أحكام القرآن: 3/ 482.
(7) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (عزل).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عزل).
(9) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (جنح).

الجُناح الجنايةُ والجرمُ، وفي كلِّ نفي للجُناح في القرآن الكريم نفْيٌ للإثم والذَّنب بحسب سياقه[1]، ونفْيُ الجُناح عن الرَّسول ﷺ في الآية بقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ دالٌّ على انتفاء الإثم واللَّوم والعتاب، وانتفاء الضّيق عليه في شيءٍ من الأمور الثَّلاثة التي ذكرت، وهي الإرجاء والإيواء والابتغاء[2].

6) ﴿تَقَرَّ﴾: (قرّ) أصلان صحيحان، يدلُّ أحدهما على برد، والآخر على تمكُّنٍ، والقرُّ من البرد نقيض السُّخونة، واستُعْمِلَ للعين دلالةً على بردها مجازًا، فإنَّ دمعة الحزن ساخنةٌ، فإذا فرحت، وسرَّت؛ بردت، وقرَّت، وكلُّ ما ورد في القرآن الكريم من قرَّة مضافة إلى (عين أو عينها أو أعين أو أعينهن)، فهو من برد العين حالَ سرورِها، فإنَّهم يستعملون سخونةَ العين في ضدِّها بقولهم: أسخن الله عينه[3]، ووصْفُ الأعين بأنَّها ﴿تَقَرَّ﴾ دالٌّ على طيب أنفسهنَّ، وذهاب حزنهنَّ إن علمن أنَّ ذاك التَّخيير في الصُّحبة إنَّما هو من الحقِّ سبحانه[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أعطى الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ خياراتٍ متعدِّدةً في إدارة شؤون نسائه، مخفِّفًا عنه ثقل التَّكليف، ومراعيًا مشاعر نسائه واحتياجاتهنَّ، فكان أن خيَّره بين أن يرجي من يشاءُ منهنَّ، أو أن يُؤوي إليه مَن يشاء من زوجاته، ومَن ابتغى منهنَّ أصابها، ومَن عزل لم يصبها، فخيَّرهن بين الرِّضا بذلك أو المفارقة، فاخترن الله ورسوله، فإذا علمن أنَّ هذا رخصةٌ من الله تعالى كان أطيبَ لأنفسهنَّ، وأقلَّ لحزنهنَّ، وأقرَّ لأعينهنَّ، والله يعلم ما في قلوب الرِّجال من ميلٍ إلى بعض النِّساء دون بعضٍ بالهوى والمحبَّة، فوضع

إغـــداقُ رحمة الله على رسوله في فتح خيارات متاحةٍ له في أمر نسائه

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (جنح).
(2) إسماعيل حقي، روح البيان: 7/ 207.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دنى)، والراغب، المفردات: (دنا)، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (دنو).
(4) البغوي، معالم التنزيل: 6/ 366.

عنك الحرج يا محمَّد تفضُّلًا وتكرمةً، فهو العليم بأعمال العباد، الحليم بمن تاب، وأناب[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصل جملة ﴿تُرْجِي﴾ عمّا قبلها:

الاستئنافُ البيانيُّ مفيدٌ في الإبانة عن دلالة السّياق

لَمّا أحلَّ المولى سبحانه لنبيِّه أزواجَهُ بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ [الأحزاب: 50]، إلى قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ [الأحزاب: 50]؛ أثار هذا في النَّفس تطلُّبًا وسؤالًا حول تفاصيل هذا التَّحليل وكيفيَّته، فأتت هذه الآيةُ من قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ استئنافًا بيانيًّا[2] للإجابة عن ذلك التَّساؤل.

دلالةُ التَّعبيرِ بالإرجاء مادَّة وصيغة:

الإرجاءُ يتناسب مع السياق مادَّة وصيغة

عبَّر عن تخييره ﷺ بالإرجاء، في قوله تعالى: ﴿تُرْجِي﴾، وحقيقة الإرجاء التَّأخير إلى وقت مستقبليٍّ[3]؛ ولذلك أورده بصيغة المضارع الذي يدلُّ على الحال والاستقبال.

والإرجاءُ يشير إلى إعطاء الأجل أو المهلة، وإرجاء الأمر إلى وقتٍ آخرَ، مع بقاء الأمل في حدوثه، هذا المعنى يتناسب مع سياق الآية، حيث أُعطي النَّبيُّ ﷺ الخيار مع نسائه في إرجاع من شاء منهنَّ.

سرُّ إيقاع الإرجاء على ذوات نساء النُّبوَّة:

انصرافُ فِعل الإرجاء إلى الأوصاف المناسبة لهنَّ

الأصلُ في فعل الإرجاء انصرافه إلى الأحوال والأوصاف، لكنَّه وقع هنا على الذَّوات بقوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾، وهُنَّ أزواجه ﷺ، وفعل الإرجاء إذا عُدّي إلى اسم دالٍّ على الذّات؛ انصرف الفعل إلى ما يُراد من الأوصاف المناسبة، كأن يقال: أرجأتُ غريمي؛ إذا أخَّرت سداد دينه إلى وقت لاحق[4].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 145 - 146.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 72.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 72.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 72.

دلالةُ التَّعبير بالموصول ﴿مَن﴾:

معنى العموم منبئٌ عن مدلول التَّخيير للبشير النَّذير

عبَّر بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿مَن تَشَآءُ﴾؛ لدلالة الاسم الموصول ﴿مَن﴾ على العموم لا التَّعيين؛ لجواز مجيئه استفهامًا وشرطًا للواحد أو الأكثر من ذلك[1]، مفارقًا (الذي) و(التي) في دلالتهما على التَّعيين، ولمّا كان تخييره ﷺ في فعل الإرجاء عامًّا يشمل أيًّا من النِّساء الواهبات، أو مِن نسائه اللّائي تحت عصمته بتطليقهنَّ أو غير ذلك؛ استعمل ﴿مَن﴾ الدّالَّة على التَّعميم لا التَّعيين.

دلالةُ المضارعة في الفعل ﴿تَشَآءُ﴾:

استمرارُ مدلول المشيئة النَّبويَّة تعبيرٌ عن الخصوصيَّة الرَّضيَّة

التَّعبيرُ بفعل المشيئة المسندِ إليه ﷺ بصيغة المضارع ﴿تَشَآءُ﴾؛ للإشارة إلى الإرادة المستمرَّةِ، فإنَّ استعمال فعل المضارع يُعطي دلالةً على استمرار إرادة الرَّسول في اختيار ما يشاء من أزواجِهِ ﷺ، وتأخير من يشاء، وإيواء من يشاء، وفيه تأكيد على التَّجدُّد في إشارة إلى أنَّ هذا الإرجاء والإيواء ليس أمرًا ثابتًا لا يتغيَّر، بل هو أمر مستمرٌّ بحسب ما تقتضيه الحكمة الإلهيَّة، ومصلحة النَّبيِّ ﷺ وأمَّته.

معنى (مِنْ) ودلالتها في: ﴿مِنْهُنَّ﴾:

أحـــلَّ الـلـه للرَّسول الإرجاءَ على عمومه

(مِنْ) في قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾، حرف جرٍّ لإفادة التَّبعيض، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يُرجِئ جميع زوجاته، بل يُرجِئُ من يشاء الله تعالى له منهنَّ، أي: إنَّه يختار بعضهن دون بعضهنَّ الآخر، ويجوز أن يكون حرف الجرِّ (مِنْ) في قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ دالًّا على البيان بعد الإبهام[2]، فإنَّ قوله: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ﴾ يحتمل أن يكون الإرجاء لعموم النِّساء، فلمّا قيَّده بحرف الجرِّ؛ عُلِمَ أنَّهنَّ نساؤه ممَّن تحت عصمته، أو ممَّن عزلهنَّ.

(1) الرّضي، شرح على الكافية: 1/ 1038، وفاضل السّامرائي، معاني النّحو: 1/ 113.
(2) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 7/ 514.

دلالةُ مرجعِ الضَّمير في القيد ﴿مِنْهُنَّ﴾:

ينسحبُ الإرجاء على كلِّ مَن شاء لهنَّ النَّبيُّ الإرجاء

الضَّمير المجرور في قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ يعود إلى الأصناف الأربعة من النِّساء المذكورات ممَّن هنَّ في عصمته، فالنِّساء اللّائي أحلَّ الله له نكاحهنَّ، ثمَّ النِّساء من بنات عمِّه وعمّاته وخاله وخالاته، والنِّساء اللّاتي وهبْنَ أنفسهنَّ[1].

دلالةُ (الواو) في ﴿وَتُؤْوِيَ﴾:

بيانُ ملمحِ التَّخييرِ بين الإرجاء والإيواء

الواو في قوله تعالى: ﴿وَتُؤْوِيَ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ للعطف الَّذي يفيد التَّخيير، فإنَّ الحقَّ سبحانه خيَّر نبيَّه ﷺ بين الإرجاء في قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾، والإيواءِ في هذه الجملة.

توجيهُ القراءاتِ في الفعل ﴿تُرْجِي﴾:

تنوُّعُ القراءة مجالٌ لاتِّساع المعنى وانفساح الدِّلالة

ورد الفعل ﴿تُرْجِي﴾ على قراءتين، فقرأه بهمزة مضمومةٍ ﴿تُرْجِئُ﴾ ابنُ كثير وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب وأبو بكر، وقرأه الباقون بدون همز ﴿تُرْجِي﴾[2]، يجوز أن تكون قراءة الهمزِ دالَّة على التَّأخير، وقراءة الياء دالَّة على الرَّجاء، أي: مع التَّأخير أنَّها تكون راجيةً لعطفك[3]، أو يكون المعنى واحدًا[4]، والفرق في تحقيق الهمز أو إبداله ياءً.

نكتةُ التَّقييد بالجارِّ والمجرور ﴿إِلَيْكَ﴾:

تقييدُ فعل الإيواء بالجارِّ والمجرور ﴿إِلَيْكَ﴾، مؤذنٌ بأنَّ هذا التَّخيير تخصيصٌ وتمييز له ﷺ، بذلك من سائر الرِّجال[5]، فيكون من خصوصيّات النَّبيِّ الأكرم؛ تعبيرًا على مقامه الأعظم.

نكتةُ تكرار الفعل ﴿تَشَآءُ﴾:

المشيئةُ تفويض في التَّصرُّف مع زوجاته

ذُكِرَ فعل المشيئة مع فعل الإرجاء ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾، ومع

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 72.
(2) ابن الجزري، النشر: 1/ 406.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 384.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 74.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 384.

فعل الإيواء ﴿وَتُـْٔوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾، وفي تكراره إشارةٌ إلى أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يتصرَّف في شؤونه الخاصَّة وفقَ ما يراه الله خيرًا له، وأنَّ الحقَّ ﷻ قد أعطاه حرّيَّة التصرُّف الكاملة في ذلك.

دلالةُ تقييدِ الإرجاء دون الإيواء:

الاستغناءُ عن الثّاني بدلالة الأوَّل من الإيجاز والاختصار

في قوله تعالى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ﴾ قيَّد فعل الإرجاء بالجارِّ والمجرور ﴿مِنۡهُنَّ﴾، ولمّا ذكرَ فعل الإيواء؛ حذف الجارَّ والمجرور منهنَّ، في قوله تعالى: ﴿وَتُـْٔوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾؛ إيجازًا واختصارًا، بأن استغنى عن الثّاني لدلالة الأوَّل عليه، والمعنى: وتُؤوي منهنَّ إليك من تشاء.

دلالةُ التَّعبيرِ بالخبر في موضع الإنشاء:

خبريَّة الفعلين منبئةٌ باستمراريَّة تخيير النَّبيِّ المكرم

الجملة من قوله تعالى: ﴿تُرۡجِي﴾ خبريَّة، إلّا أنَّها مستعملة في إنشاء التَّخيير له ﷺ بأن يرجي منهنَّ من يشاء، وكذا فعل الإيواء ﴿وَتُـْٔوِيٓ﴾ بأن يؤويَ منهنَّ من يشاء[1]، وإيراد فعلَي الإرجاء والإيواء بصيغة الخبر لا الإنشاء؛ للدِّلالة على استمرار التَّخيير في الفعلين، ولو وردا بصيغة الإنشاء؛ لكان ذلك دالًّا على مجرَّد الطَّلب، أو الأمر، بينما تدلُّ خبريَّة الفعل على ثبات هذا التَّخيير للنَّبيِّ ﷺ.

بلاغةُ المقابلة بين جملتَي ﴿تُرۡجِي﴾ ﴿وَتُـْٔوِيٓ﴾:

الإرجاءُ والإيواء مقابلة في اللَّفظ وتضادٌّ في المعنى

بين قوله تعالى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَتُـْٔوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ مقابلة لطيفة، وهي من الأساليب البلاغيَّة التي تزيد من قوَّة النَّصِّ وتأثيره، ممّا يخلق تباينًا واضحًا في المعنى، ومقتضى المقابلة أن يكون الإرجاء مضادًّا للإيواء، أو أن يكون الإيواء ضدَّ الإرجاء، وبذلك تنشأ احتمالاتٌ في المراد من الإرجاء والإيواء صريحهما وكنايتهما[2]، مع توكيد شموليَّة المعنى.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 72.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 72.

بلاغةُ الكناية بالإرجاء والإيواء:

التَّخييرُ رفْعٌ للإحراج، وإفساحٌ لبدائل العلاج

التَّعبيرُ بفعلَي: الإرجاء ﴿تُرۡجِي﴾، والإيواء ﴿وَتُـٔۡوِيٓ﴾ كنايةٌ لطيفة عن المضاجعة والمجامعة، والمعنى: لك الخيار في أن تتركَ المبيتَ مع مَن تشاء منهنَّ، وتبيتَ مع مَن تشاء، وكناية عن الطَّلاق وتركه، والمعنى: خيَّرناك بين أن تُطلِّقَ مَن تشاء، وتمسك من تشاء[1]، لا حرج عليك في ذلك كلِّه.

بلاغةُ التَّقسيم في الآية:

التقسيمُ استيعابٌ للأحوال دلالة على كرامة النَّبيِّ المفضال

قوله تعالى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ﴾ تقسيمٌ جامع لأحواله ﷺ مع نسائه، وهذه القسمة مشتملةٌ على التَّطليق أو الإمساك، فإذا أمسك؛ جاز له أن يقسم لهنَّ أو لا يقسم، وفي تطليقه له الخيار في إخلاء المعزولةِ أو ابتغائِها، وقد أرجى خمسًا، وآوى أربعًا، وروي أنَّه كان يُسوّي بينهنَّ مع ما أُطلِقَ له، وخُيِّرَ فيه إلّا سودة، فقد وهبت ليلتها لعائشةَ رضي الله عنها رغبةً منها في أن تُحشرَ في زمرة أزواجه[2].

دلالةُ (الواو) في قوله: ﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ﴾:

بين الاستئنافِ والعطف، ينقدح معنى السّياق

الواو الدّاخلةُ على جملة الابتغاء، في قوله: ﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ﴾ دالَّةٌ على الاستئناف، سيقت جملتُها لبيان أنَّ هذا التَّخيير، لا يوجب استمرارَ ما أخذ به من الطَّرفين المخيَّر بينهما، أي: لا يكون عمله بالعزل لازم الدَّوام، بمنزلة الظِّهار والإيلاء، بل أذن الله أن يرجع إلى من يعزلها منهنَّ، فصرَّح هنا بأنَّ الإرجاء شامل للعزل[3]، ويجوز أن تكون الواو عاطفةً، عطفت جملة: ﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ﴾، على قوله: ﴿مَن تَشَآءُۖ﴾ الثّانية، والمعنى: تُرجي من تشاء، وتؤوي مَن تشاء، وممَّن عزلت، وهي المطلَّقة[4].

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 552.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 552.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 74.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 401.

دلالةُ التَّعبير بالموصول (مَنْ):

قصدَ العموم بالموصول يعامل معاملة الشَّرط

(مَنْ) في قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ موصولةٌ، ومحلُّها متردِّد بين المفعوليَّة والابتداء[1]، وهي في كلٍّ مقصودٌ منها الدِّلالةُ على العموم؛ ولذلك عوملَت معاملةَ الشَّرط، فاقترن خبرها بالفاء، وهو كثير في كلام العرب[2]، والمعنى: لك الخيار في أن تراجعَ مَن أردت بعد إرجائها.

دلالةُ التَّعبير بالابتغاء:

مفهومُ تخصيص النَّبيِّ بالابتغاء توفيةٌ لمقام الإكرام

استعملَ فِعل الابتغاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾؛ لإرادة الميل والطَّلب، والمعنى: وإن مالت نفسك إلى طلبها؛ حلَّ لك أن تعود إليها، وكلُّ هذا توفيَةٌ واستمرارٌ في مقام إكرام النَّبيِّ ﷺ، بأن يتصرَّف بما يشاء، وتريد نفسه.

دلالةُ حذفِ مفعول ﴿ٱبْتَغَيْتَ﴾:

المحذوفُ الَّذي دلَّ عليه المذكور لونٌ من الإبانة مأثور

في قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ جملة مقدَّرة دلَّ عليها قوله: ﴿ٱبْتَغَيْتَ﴾؛ إذ هو يقتضي أنَّه ابتغى إبطال عزلها، فمفعول ﴿ٱبْتَغَيْتَ﴾ محذوفٌ دلَّ عليه قوله: ﴿وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾، كما هو مقتضى المقابلة بقوله: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ﴾، فإنَّ العزل والإرجاء مؤدّاهما واحد.

والمعنى: فإن عزلت بالإرجاء إحداهنَّ، فليس العزلُ بواجب استمرارُه، بل لك أن تعيدها إن ابتغيت العودَ إليها، أي: فليس هذا كتخيير الرَّجل زوجه، فتختار نفسها المقتضي أنَّها تبين منه[3].

دلالةُ (مِنْ) في: ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾:

رفعُ الملامةِ والعتاب ملمحٌ للرِّفق بالنَّبيِّ الأوّاب

﴿مِمَّنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ تركيبٌ مشتمل على حرف الجر (مِنْ) والاسم الموصول (مَنْ)، ومعنى

(1) العكبري، التبيان: 2/ 1059.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 74.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 74.

(مِنْ) هنا التَّبعيض، والمعنى: فلا جُناح عليك أيُّها الرَّسول، ولا لوم ولا عتاب؛ إن أردت ردَّ أيٍّ من نسائك اللّائي عزلتهنَّ، وطلبْتَ إيواءها، فأنت مخيَّرٌ في ذلك[1].

علَّةُ التَّعبير بالموصول (مَنْ) في السّياق:

عـمـومُ الـدّلالـة مـبـيّنٌ عـن المـراد مـن الـسّـيـاق بالأصالة

التَّعبيرُ بالاسم الموصول (مَنْ) في قوله تعالى: ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ دالٌّ على العموم وعدم التَّعيين، فإنَّ العزل "يصحُّ أن يكون في معنى القسم، ويصحُّ أن يكون في الطَّلاق والإمساك وفي الواهبات"[2]، فمَن لم يقسم لها؛ فقد عزلها، ومَن طلَّقها؛ فقد عزلها، ومَن لم يقبل هبتها؛ فقد عزلها.

دلالةُ (الفاء) في قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾:

نفْيُ الجُناح عن النبيِّ ﷺ كرامة له

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ واقعٌ في جواب الشَّرط، أو كالواقع في جواب الشَّرط؛ لأنَّ نفي الجُناح، وإن كان خبرًا للمبتدأ (مَنْ)، لكنَّ المبتدأ لمّا كان موصولًا دالًّا على العموم؛ فإنَّ العرب تعامله معاملة الشَّرط[3]، والشَّرط يقتضي الفاء في جوابه إن لم يكن صالحًا؛ لأن يكون شرطًا، ويجوز في معنى الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ أن تكون دالَّةً على التَّفريع، وهذا على كون جملة ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ معطوفةً على ﴿مَن تَشَآءُ﴾ الثانية - كما تقدَّم - ويكون المعنى: فلا إثمَ في شيء ممّا ذُكِرَ[4].

دلالةُ (لا) في: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾:

نـفـيُ الـجـنـس نـفـيٌ مـؤكَّـد من كلِّ وجه

(لا) في قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ دالَّة على نفي الجنس[5]، وهو نفْيٌ مؤكَّد من كلِّ وجه، وهذا النَّفي لبيان أنَّ هذا التَّخيير ليس

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 393.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 393.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 74 - 75.
(4) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 401.
(5) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 11/ 178.

واردًا لاستمرار ما اختاره النَّبي ﷺ، فلا يكون عمله بالعزل لازم الدَّوام، بل في الأمر سَعة وإذنٌ من الحقِّ سبحانه في أن يرجع إلى مَن يعزلها، ويتركها منهنَّ[1].

دلالةُ (على) في شبه الجملة: ﴿عَلَيۡكَۚ﴾:

الاستعلاءُ هو المعنى الشّائع لحرف الجرِّ (على) في كلام العرب[2]، وقد يكون الاستعلاء معنويًّا، كالوارد في قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾، فمعنى نفي الجُناح على الرَّسول ﷺ أنَّ الإرجاء والإيواء والابتغاءَ كلَّها أفعال لا يقع فيها عليك أيُّ ذنب أو إثم.

الاستعلاءُ المعنويُّ أوفى في الدّلالة عن رفع الجُناح

دلالةُ الحذف في جملة نفي الجُناح:

في قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾ محذوف دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ٱبۡتَغَيۡتَ﴾، والمعنى: إن ابتغيت إيواءها؛ فلا جُناحَ عليك من إيوائها، ولا إثم ولا مؤاخذة[3].

المحذوف الَّذي يدلُّ عليه المذكور مبينٌ عن المراد

مرجعُ الإشارةِ ودلالة البُعد في قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾:

الإشارةُ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ﴾ راجعةٌ إلى الإذن له ﷺ من الحقِّ تعالى بالإرجاء والإيواء، فإنَّه إخبار من الحقِّ سبحانه أنَّ نساءَهُ ﷺ على غير ما يُظنُّ من أنَّهن يكرهْنَ ما خيَّرهنَّ من تلك الأفعال، والتَّعبير بالإشارة الدّالَّة على حرف البُعدِ، للتَّعظيم لما له مِن الشَّرف والمكانة عند ربِّه[4].

الإذنُ بخيارِ الإرجاءِ والإيواء إشارةٌ إلى الشَّرف والإعلاء

ويجوز أن تكون الإشارةُ راجعةً إلى الابتغاء بعد العزل، أي: إنَّ هذا الفعل أقربُ وأدنى لأن تقرَّ أعين النِّساء ممَّن كنت قد عزلتهنَّ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 74.
(2) ابن السراج، الأصول في النحو: 3/ 176.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 74.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 385، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 75.

وفي هذا ترغيبٌ وتحبيب للرَّسول ﷺ في اختيار إرجاعهنَّ، وترك العزل عن القَسم، فهو مناسب لقرَّة العين، وانتفاء الحزن[1].

دلالةُ موقع جملة: ﴿أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ﴾:

جعلُ الحقِّ للنَّبيِّ المهديِّ أقرُّ لأعين نسائه وأهنأ لهنَّ

جملة: ﴿أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ﴾ في موقع الجرِّ بحرف الخفض المقدَّر، والتَّقدير: ذلك أقربُ إلى أن تقرَّ أعينهنَّ[2]، فإذا كان المشارُ إليه هو الإيواء؛ كان المعنى: الإذن لك من الله، والإيواء أقربُ من الإرجاء ومن عدم التَّصريح بالإذن في القرآن المعجز إلى ﴿أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ﴾[3]، إن كان المشارُ إليه هو التَّفويض المستفاد من قوله: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾؛ كان المعنى: أنَّ في هذا التَّفويض جعلَ الحقَّ في اختيار أحد الأمرين بيد النَّبيِّ ﷺ، ولم يُبْقِ حقًّا لهنَّ، فإذا عيَّنَ لإحداهنَّ حالةً من الحالين؛ رضيت به؛ لأنَّه بجعْلِ الله تعالى، على حكم قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب: 36]، فقرَّت أعينُ جميعهن بما عيَّنتَ لكلٍّ واحدة؛ لأنَّ الذي يعلم أنَّه لا حقَّ له في شيء كان راضيًا بما أوتي منه، وإن علم أنَّ له حقًّا حسِب أنَّ ما يؤتاه أقلُّ من حقِّه، وبالغ في استيفائه[4].

بلاغةُ الكنايةِ في قوله: ﴿تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ﴾:

حُكْمُ الله قرَّةُ عينٍ واطمئنان بالٍ

التَّعبيرُ بقرَّة العين في قوله تعالى: ﴿أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ﴾ كنايةٌ عن الفرح والسُّرور والطُّمأنينة وذهاب الحزن بأن بلغن المراد في الإرجاء والإيواء، وأنَّه مِن الله تعالى فرضين به، واطمأنَّت نفوسهن، فإنَّ المطمئنَّ تكون عينه قارَّةً، والمحزون عينه كثيرة التَّقلُّب لما يخشاه[5]،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 75.
(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 180.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 385.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 75.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 385.

ويجوز أن يكون التَّعبير بقرِّ العيون ما كان ضدَّ الحرِّ والسُّخونة، فإنَّ المسرور ذو عين باردة، والمهموم تكون عينه حارَّةً ساخنةً، كقولهم للصَّديق: أقرَّ الله عينك، وللعدوِّ أسخنَ الله عينك[1].

دلالةُ (الواو) في قوله: ﴿وَلَا يَحۡزَنَّ﴾:

عطفُ الخاصِّ على العامِّ من بليغ الكلام

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزَنَّ﴾ عاطفة، عطفت قوله: ﴿وَلَا يَحۡزَنَّ﴾ على قوله: ﴿أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ﴾[2]، ومع أنَّ قرَّة العيون مشتملةٌ على انتفاء الحزن، إلّا أنَّ نفْيَ الحزن عنهنَّ فيه ترغيب للنَّبي ﷺ في أن يبقى مواصلًا جميع نسائه؛ فإنَّ العزل موجب لحزنهنَّ، وهو ما لا يُرضي الرَّسول الموصوف بأنَّه بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم[3]، فيكون هذا العطف من باب عطف الخاصِّ على العامِّ.

دلالةُ (لا) في قوله: ﴿وَلَا يَحۡزَنَّ﴾:

الجمع بين نفي الحزن وقرَّة العين مَسلَكٌ للسَّعادة مكين

(لا) في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزَنَّ﴾ دالَّةٌ على النَّفي[4]، ونفْيُ الحزن هنا كالتَّأكيد لقرَّة الأعين[5]، فجُمِع لهنَّ في هذا الإرشاد الإلهيِّ للنبيِّ ﷺ بين قرارة العين المكنيِّ بها عن الفرح والطُّمأنينة والسُّرور، وبين الأمان من الحزن الذي قد ينغِّص على الإنسان سعادته وطمأنينته.

دلالةُ (الواو) في قوله: ﴿وَيَرۡضَيۡنَ﴾:

الرِّضا طيبٌ للخواطر، ونفيٌ للحزن الكاسر

الواو في قوله تعالى: ﴿وَيَرۡضَيۡنَ﴾ دالَّةٌ على العطف، فقد عطفت هذه الجملةَ على جملة: ﴿أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ﴾، فإنَّ ذلك التَّشريع من تفويض الأمر إليك أقربُ إلى طيب نفوسهنَّ، وأقرب إلى انتفاء حزنهنَّ، وحصول رضاهنَّ، وقبولهنَّ ما تفعله معهنَّ؛ لعلمهنَّ أنَّه وحيٌ من الحقِّ سبحانه[6]، وكلُّ أمر لله فهو خيرٌ لعبده.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 386.
(2) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 7/ 515.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 76.
(4) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 11/ 179.
(5) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 402.
(6) طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 232 - 233.

دلالةُ (الباء) في: ﴿بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ﴾:

طبْعُ الإنسانِ أنَّ ما يؤتاه يكون سببًا في رضاه

الباء في قوله تعالى: ﴿بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ﴾ دالَّةٌ على السَّببية والتَّعليل[1]، فإنَّ نساءه ﷺ قد رضين بسبب ما أعطاهنَّ ممّا خيَّره المولى سبحانه من إرجاءٍ وتقريب وإيواء وعزلٍ وغير ذلك[2]، فالباء هنا تدلُّ على أنَّ رضا النِّساء نتيجةٌ طبيعيَّةٌ لما آتاهنَّ النَّبيُّ من خير وقسمة عادلة، أي: إنَّ رضاهنَّ كان بمقتضى ما آتاهن.

دلالةُ تقديم ﴿بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ﴾ على التَّوكيد ﴿كُلُّهُنَّ﴾:

العطاء الإلهيُّ مفتاح الرِّضا والاطمئنان

تقديمُ فعل الإيتاء بمعنى الإعطاءِ على التَّوكيد في قوله تعالى: ﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾، وإن كان خلاف القياس في أن يليَ التَّوكيدُ المؤكَّدَ لكنَّه جائز[3]، وتقديمه هنا اختيارٌ دقيق يعكس عمقَ المعنى، وجمال الأسلوب القرآني، فهو يركِّز على الفعل نفسه، وهو الإعطاء، أي: ما قُدِّم للنِّساء من نِعَمٍ أو حقوق، وهذا يزيد من التَّأكيد على أنَّ رضاهنَّ ينصبُّ على هذا الإيتاء، وهو مفتاح القناعة النَّفسيَّة.

بلاغةُ ترتيب الأفعال الثَّلاثة:

ترتيبُ نفي الحزن بين قرَّة العين والرِّضا المستفاد، مبينٌ عن المراد

رتَّب النَّظم الكريم الجملَ المتعلِّقة بوصف نسائه ﷺ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ﴾ بأن قدَّم قرَّة العيون، ووسَّط نفي الحزن، وأخَّر حصول الرِّضا؛ فهو ترتيب راعى فيه مراد النَّفس الإنسانية، فإنَّ برد العين وقرارها كنايةٌ عن ذهاب السّوء أوَّلًا، فالنَّفس تسعى إلى ذلك قبل كلِّ شيء، ثمَّ جاء انتفاء الحزن مؤكِّدًا لقرَّة العيون، والتَّوكيد يلي المؤكَّد، ثمَّ أورد حصول الرِّضا بعد إزالة الحزن وتوكيده، فرُتِّبت الأفعال الثَّلاثة ترتيبًا يوافق طبيعة النَّفس البشريَّة.

---

(1) المرادي، الجنى الداني، ص: 39.
(2) الخازن، لباب التأويل: 3/ 432.
(3) السبكي، عروس الأفراح: 1/ 382.

دلالةُ ضمائر الغيبة في: ﴿أَعۡيُنُهُنَّ﴾ و﴿كُلُّهُنَّ﴾:

التَّعبيرُ بضمائر الجمع أحوط وأشمل لهنَّ كلِّهنَّ

ضمائرُ الغيبة في قوله تعالى: ﴿أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ﴾ راجعةٌ إلى المذكورات الدّالِّ عليهنَّ الاسم الموصول (مَنْ) في قوله: ﴿مِمَّنۡ عَزَلۡتَ﴾[1]، والسِّرُّ في ذلك أنَّ العزلَ الواقع على تلكم النِّساءِ أصابهنَّ بالحزن والأسى، فلمّا فوَّض الحقُّ ﷻ رسوله الكريم، وأحلَّ له أن يعيدَ إليه المعزولات؛ كان ذلك أقرَّ لأعينهنَّ، وأنفى لحزنهنَّ، وآكدَ لرضاهنَّ على وجه الإحاطة والشُّمول.

سرُّ التَّوكيد بلفظ ﴿كُلُّهُنَّ﴾:

لا يحسن الرِّضا إلّا مع العدل المرتضى

قوله تعالى: ﴿كُلُّهُنَّ﴾ من باب التَّوكيد المعنوي، وهو توكيد الشُّمول والإحاطة الذي يرفع احتمالَ قصدِ بعض القوم لا جميعهم قاطبةً، وألفاظُه (كلّ) وما تفرَّع منه، و(جميع) وما تفرَّع منه، و(عامَّة)[2]، وفي هذا التَّوكيد إشارة إلى أنَّ الرِّضا المعنيَّ هنا هو الرِّضا الَّذي تتساوى فيه نساؤه جميعًا ﷺ[3].

دلالةُ (الواو) في: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾:

أثرُ الاستئنافِ بعلم ما في القلوب مبينٌ عن المعنى المطلوب

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾؛ مؤذنةٌ باستئناف جملة جديدة[4]، وهذا الاستئناف تذييلٌ بكلام جامع لمعنى التَّرغيب والتَّحذير، ففيه ترغيب النبيِّ ﷺ في الإحسان بأزواجه وإمائه، والمُتعرِّضات للتَّزوُّج به، وتحذير لهنَّ من إضمار عدم الرِّضا بما يلقينه من رسول اللّهِ ﷺ[5].

دلالةُ التَّعبيرِ بـ(العلم) مادَّةً وصيغةً:

إحاطةُ عِلمهِ بكلِّ شيء على الدَّوام، حقٌّ لا ريب فيه

استعمل فعلَ العلم بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 76.
(2) الشاطبي، المقاصد الشافية: 5/ 7 - 8.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 76.
(4) الخراط، المجتبى: 3/ 974، والدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 7/ 515.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 77.

لتأكيد عظمةِ اللّه تعالى، وعِلمهِ المطلق بكلِّ شيءٍ، فإنَّ علمه تعالى يشمل كلَّ شيء ظاهرًا وباطنًا، لا يقتصر على المعرفة الظّاهرية للأشياء، بل يتعدّاها إلى معرفة الدَّواخل والأسرار، وفي صوغه مضارعًا إيذانٌ باستمراره[1] في الأزمان كلِّها، والأفعال كلِّها.

دلالةُ التَّعبير بالموصول ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾:

التَّعبيرُ بـ﴿مَا﴾ الموصولة في قوله تعالى: ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾؛ لدلالتها على العموم والشُّمول؛ ليدخل تحت علمه تعالى جميع ما في قلوبهم، صغيرًا كان أو كبيرًا، فإنَّه لا يندُّ عن عِلمه شيء من أعظم الأمور إلى أدقِّها، فلا يخفى عليه شيء.

التحذيرُ بعموم علم الله تعالى لكلِّ شيء

دلالةُ ﴿فِي﴾ في قوله: ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾:

﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ دالٌّ على الظَّرفية المجازية، فالقلب مُستقَرُّ الأفكار والمعتقدات والمشاعرِ ووعاؤها، وعِلمُ اللّه تعالى يشمل كلَّ ما هو مركوزٌ في القلوب من خيرٍ أو شرٍّ، لا يخفى عليه شيءٌ.

القلبُ مستقرٌّ للمشاعر اللَّطيفة ووعاءٌ للمعاني الظَّريفة

وفي التعبير بحرف ﴿فِي﴾ إخبارٌ من اللّه بأنَّه عالمٌ بمكنونات الصُّدور، وما تحويه القلوب، وتخفيه، كما قال تعالى على لسان لقمان عليه السلام: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: 16].

سرُّ الإضافةِ في لفظ: ﴿قُلُوبِكُمْ﴾:

أضاف النَّظمُ القرآنيُّ لفظ القلوب إلى ضمير المخاطَبين، الدّال على الجمع في قوله تعالى: ﴿قُلُوبِكُمْ﴾؛ للإشارة إلى أنَّه سبحانه يعلم ما في قلوب الخلائق كلِّهم[2]، لا يعزب عن علمه أحدٌ من خَلقِه.

عِلمُ اللهِ بما تطويه القلوب، مظهرٌ لعلمه بما تحويه الغيوب

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 386.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 386.

دلالة (الواو) في: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾:

علمُ الله وحلمه مظهرٌ لإحاطته المطلقة بكلِّ شيء

الواو في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ على معنى الاستئناف، فالجملةُ مستأنفة[1]؛ لأنَّها جملة تعليليَّة؛ فإنَّ الحقَّ ﷻ يعلمُ ما في قلوبهم؛ لأنَّه العليم الحليم، ويجوز أن تكونَ الواو في الجملة عاطفةً، عطفت قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ على قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾، فالجملة المعطوفة تمنح قوَّةً وتأكيدًا لجملة العلم الفعليَّة[2]، فبعد أن ذكر الحقُّ تعالى علمه بما في القلوب، أكَّده بأنَّه عليم وحليم.

دلالةُ التَّعبير بالفعل الماضي (كانَ):

لُطفُ الله بالبشر أنْ كان علمه أزليًّا وحلمه أبديًّا

عبَّر بفعل الكون ماضيًا مع صفة العلم والحلم له ﷻ، بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾؛ للإيذان بأنَّ علمَهُ وحلمه كائنان من الأزل مستمرّان إلى الأبدِ[3]، ويدلُّ كذلك على كمال هاتين الصِّفتين في حقِّ الله ﷻ.

سرُّ ختمِ الآية بصفتَي ﴿عَلِيمًا حَلِيمًا﴾:

عِلمُ اللهِ الرَّحيب وحلمه القريب يناسبان التَّرغيبَ والتَّرهيب

ختم الحقُّ ﷻ الآية بصفتَين من صفاته تعالى بقوله: ﴿عَلِيمًا حَلِيمًا﴾؛ لمناسبتهما لمقام الترغيب والترهيب، فإنَّ العليمَ مناسبٌ لما ذكره من قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾؛ ليكون العلمُ محيطًا بما في القلوب ومحيطًا بكلِّ شيء، فيحمل هذا العبد على الخوف منه سبحانه؛ لأنَّه مطَّلعٌ على كلِّ شأنه، والتَّعبير بالحليم، وهو الذي لا يعاجل مَن عصاهُ، بل يديم إحسانه إليه في الدُّنيا، وحلمه مقتضٍ للاستحياء منه، والخوف منه كذلك؛ لأنَّ أخْذَ الحليم شديدٌ[4].

(1) الدرة، تفسير القرآن الكريم، وإعرابه وبيانه: 7/ 516.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 23/ 116.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 387.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 387.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإيواء والضَّمُّ:

الإيواءُ هو الميل، بينما الضَّمُّ هو جمع الأشياء المتعدِّدة

الأصلُ في الإيواء هو الميلُ، ومنه منزِلُ الرَّجل الَّذي يقيم فيه، ويميل إليه، ويأتي الإيواء بمعنى الضَّمِّ كأنَّك أملته إليك بعطفك ورحمتك[1]، أمّا الضَّمُّ؛ فهو جمع الأشياء المتعدِّدة الكثيرة، ونقيضه البثُّ، وهو التَّفريق[2]، فاختيار لفظة ﴿وَتُـْٔوِيٓ﴾ يتضمَّن معنًى أوسعَ وأشمل من مجرَّد الجمع والضَّمِّ المادّي، في إشارة إلى الأمان والاستقرار والرّاحة، وإلى توفير المأوى والحماية، وهذا المعنى يتناسب تمامًا مع السّياق الذي وردت فيه الآية، حيث يُمنَحُ النَّبيُّ ﷺ الخيار في إيواء من يشاء من زوجاته، أي: في توفير بيئة آمنة ومستقرة لهنَّ، أمّا كلمة (الضَّمِّ)؛ فلا تدلُّ على هذه المعاني المذكورة.

الجُناح والإثم:

الجُناح بمعنى: الميل بغير قصد، والإثـمُ: ما كان عن تعمُّد وقصد

نفى الحقُّ ﷻ عن النَّبيِّ ﷺ الذَّنب في قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾، ولمّا كان هذا النَّفي متعلِّقًا بما أباحه له من الإرجاء والإيواء والابتغاء، وليس متعلِّقًا بذنب أو فعل متعمَّدٍ - وهو ﷺ منزَّهٌ عنه - عبَّر عنه بأخفِّ الألفاظ، وهو نفي الجُناح، وهو من جنح؛ إذا مالَ، وسُمّي الجناحان جناحين؛ لميلهما في الشقَّين[3]، ولم ينفِ عنه الإثم؛ لأنَّ الإثم لا يكون إلّا تعمُّدًا[4]، وهو من المعاصي، والرَّسول منزَّهٌ عن ذلك بما عصمه المولى سبحانه.

الإرجاء والتَّأخير:

إرجـاءٌ مشوب بالعودة لا تأخير رحـمـة الـنَّـبـيِّ والـتَّـيـسير على أزواجه

استعمل فعل الإرجاءِ في قوله تعالى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ﴾، ولم يستعمل التَّأخيرَ، والتَّأخيرُ ما كان نقيضًا للمتقدِّم، أمّا الإرجاء؛

(1) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 86.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 331.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جنح).
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 222.

فإنَّه وإن كان مشتملًا على معنى التَّأخير لكنَّه مشوبٌ بالعودة، فإنَّ الحقَّ سبحانه أباح لرسوله ﷺ الإرجاءَ، أي: ترْكُ مَن يشاء مِن نسائه، ما بدا له من غير طلاقٍ، فإذا شاء؛ راجعها، أويتركها كذلك، فلفظُ الإرجاء يحمل معنًى أوسعَ وأشمل من مجرَّد التَّأخير، فهو يشير إلى إعطاء الأجل أو المهلة، وإرجاء الأمر إلى وقت آخر، مع بقاء الأمل في حدوثه، هذا المعنى يتناسب تمامًا مع سياق الآية، حيث يُعطى النَّبيُّ ﷺ الخيار مع نسائه، أمّا التَّأخير؛ فيدلُّ على التَّرك بشكل قاطع، دون إعطاء أيِّ أمل في حدوثه في المستقبل القريب، وهذا المعنى لا يتناسب مع سياق الآية، حيث إنَّ النَّبيَّ كان سيعيد نساءه بعد أن خيَّرهنَّ، فاخترن الله ورسوله.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-98-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45 : المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-98-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»